نظريَّة النَّظم الجُرجانيَّة
بين الحداثة والتَّأصيل

د. نبيلة مصطفى محمَّد إبراهيم *

مستخلص البحث

كانت نظريَّة النَّظم الجرجانيَّة – ولا تزال – صرحًا عملاقًا وجد فيه علماء اللُّغة ملاذهم في كتاباتهم ، سواء منهم القدامى والمحدثون ، خاصَّة المهتمُّون بمجال الدَّرس اللُّغوي ، ولكنَّنا في العصر الحديث نجد من يتحدَّث عن نظريَّة أخرى تحت مسمَّى نظريَّة السِّياق ، مع نسبتها إلى علماء اللُّغة الغربيِّين ، تحمل في طيَّاتها كلَّ أساسيَّات نظريَّة النَّظم ، بل لا يكاد القارئ المتمعِّن فيهما أن يجد فرقًا بينهما سوى التَّسمية ، فهذه نظريَّة النظم ، والأخرى نظريَّة السِّياق .

فكان ذلك لي دافعًا إلى كتابة هذا البحث ؛ لأبيِّن ذلك ، ولأعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه .

وعليه سيكون مدار البحث حول ثلاث نقاط مهمَّة :

أوَّلاً - التَّعريف اللُّغوي والاصطلاحي للنظم .

ثانيًا – مفهوم النَّظم عند القدامى والمحدثين .

ثالثا – تطوُّر مفهوم النَّظم .

أوَّلاً – التَّعريف اللُّغوي والاصطلاحي للنظم :

النَّظم في اللُّغة:

النَّظْمُ نَظْمُكَ خَرَزاً بَعْضَهُ إلى بعض في نِظامٍ واحد، وهو في كل شيءٍ حتى قيل: ليس لأمرِه نظامٌ، أي لا تستقيم طريقتُه.

والنِّظام: كُلُّ خَيْطٍ يُنْظَم به لُؤْلُؤٌ أو غيره فهو نظام، والجميع نُظُم، وفِعْلُكَ النَّظْم والتَّنظيم...والانتِظامُ: الاتِّساقُ، والنَّظَمُ دُرٌّ ونحوه مما يُنْظَم[1] .

* جامعة النِّيلين ، كلِّيَّة الآداب ، قسم اللُّغة العربيَّة.

والنَّظْمُ: اسْمٌ لبَعْضِ كَوَاكِبِ الثُّرَيّا، والنَّظْمُ من الأَرْضِ: ما كانَ من غُدْرَانٍ صِغَارٍ وَصَلَ بَعْضُها إلى بَعْضٍ فصارتْ مَنْظُوْمَةً [2].

ونَظَمَ ينظِم نَظْماً ونِظاماً، والنِّظام: كل منظوم؛ ويقال: نَظَمْتُ ونظَّمتُ نَظْماً وتنظيماً.[3]

والنَّظْمُ :التَّأليفُ ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ، ونَظَّمه فانْتَظَم وتَنَظَّم ونظَمْتُ اللُّؤْلؤَ أي جمعته في السِّلْك والتَّنظيمُ مثله ، ومنه نَظَمْتُ الشِّعر ونَظَّمْته، ونَظَمَ الأَمرَ على المثَل ، وكلُّ شيءٍ قَرَنْتَه بآخر أو ضَمَمْتَ بعضَه إلى بعض فقد نَظَمْتَه[4].

تلك أهمُّ المعاني الَّتي وردت في معاجم اللُّغة عن مادَّة " نَظَمَ" وهي تدور حول معنى الاتِّساق والائتلاف .

وهذا المفهوم من شأنه أن يدلَّنا على ردِّ تلك المعاني المختلفة إلى الدَّلالة الأصليَّة لمادَّة " نَظَمَ " الَّتي تدُّل على ماهيّته ، وهو : الاتِّساق والتَّرتيب والائتلاف والتَّناسب بين الأجزاء ؛ فإنَّ نظم حبَّات اللُّؤلؤ في الخيط يستوجب التَّناسب في إحكام الصَّنعة ليبدو العقد سليمًا في مظهره ، وكذلك نظم الكلام يتطلَّب دقَّة الإحكام، ووضع كلِّ لفظة بجانب أختها صنيع ناظم اللُّؤلؤ ، وحائك الخيوط [5].

ونستخلص من التَّعريف اللُّغويّ لمادَّة " نظم " أنَّه هو التَّرتيب والتَّأليف والتَّنظيم إلَّا أنَّ ثمَّة فرقًا بين التَّرتيب والتَّأليف والتَّنظيم ؛ فـ " التَّأليف يستعمل فيما يؤلَّف على استقامة أو على اعوجاج ، والتَّنظيم والتَّرتيب لا يستعملان إلاَّ فيما يؤلَّف على استقامة ، ومع ذلك فإنَّ بين

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السَّامرَّائي ، دار ومكتبة الهلال . باب الظَّاء والنُّون والميم معهما.

[2]- الصَّاحب بن عباد : المحيط في اللُّغة ،http://www.alwarraq.com (باب الظَّاء والنُّون والميم).

[3]- ابن دريد : جمهرة اللُّغة ، مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة ، حيدر آباد، الطَّبعة الأولى : 1344هـ،(باب الظَّاء والميم وما بعدهما من حروف).

[4]- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، الطَّبعة الأولى. مادَّة (نَظَمَ).

[5]- انظر: نجاح أحمد عبد الكريم الظهَّار: أثر استخدام نظريَّة النَّظم عند الشَّيخ عبد القاهر الجرجاني في تنمية التذوُّق الأدبيّ لدى طالبات اللُّغة العربيَّة ، مكتبة العبيكان ، الرِّياض ، الطَّبعة الأولى ، 1427هـ ص (72).

التَّرتيب والتَّنظيم فرقًا ، وهو أنَّ التَّرتيب هو وضع الشَّيء مع شكله ، والتَّنظيم هو وضعه مع ما يظهر به ، ولهذا استعمل النَّظم في العقود والقلائد ؛ لأنَّ خرزها ألوان يوضع كلُّ شيءٍ منها مع ما يظهر به لونه"[1].

وبناءً على ما سبق يمكن القول إنَّ النَّظم هو انتقاء الألفاظ ، والتَّأليف بينها حتَّى تصبح جملاً وعبارات لها معان منتظمة.

2 - النَّظم في الاصطلاح:

أمَّا تعريف " النَّظم " في الاصطلاح ، فلا أستطيع أن أجزم بخلوِّ كتب البلاغيّين واللُّغويّين القدامى منه ، وتحديدًا قبل عبد القاهر الجرجاني الَّذي لم يعد النَّظم عنده مجرَّد اصطلاح ، بل أصبح نظريَّة متكاملة يتناولها العلماء - كلٌّ من وجهة نظره - منذ الزَّمن القديم وحتَّى يومنا هذا ؛ ولكنِّي أحسب أنَّ ما جاء في كتبهم متعلِّقا بالنَّظم ، كان عبارة عن إشارات تفهم من سياق الحديث عنه ، وهذا ما سيتَّضح أمره في الجزء المخصَّص من هذا البحث ؛ للحديث عن مفهوم النَّظم عند القدامى .

ولعلَّ الَّذي يؤيِّد ما ذهبتُ إليه في الفقرة أعلاه ، فيما يختصُّ بخلوِّ كتب القدامى من المعنى الاصطلاحيّ للنظم ، هو ما قاله الجرجانيُّ ذاته عن سبب تأليفه " دلائل الإعجاز" ، قال : " ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة ، والبيان والبراعة ، وفي بيان المغزى من هذه العبارات ، وتفسير المراد بها ، فأجد بعض ذلك كالرَّمز والإيماء ، والإشارة في خفاء ، وبعضه كالتَّنبيه على مكان الخبيء ليطلب ، وكما يفتح لك الطَّريق إلى المطلوب لتسلكه ، وتوضع لك القاعدة لتبني عليها ، ووجدت المعوَّل على أنَّ ها هنا نظمًا وترتيبًا ، وتأليفًا وتركيبًا ، وصياغةً وتصويرًا ، ونسجًا وتحبيرًا "[2].

[1]- أبو هلال العسكري : الفروق اللُّغويَّة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطَّبعة الرَّابعة ،1400هـ ، ص (138).

[2] - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، قرأه وعلَّق عليه محمود محمَّد شاكر ، دار المدني ، جدَّة ، الطَّبعة الثَّالثة:1413هـ ص(34).

وفي موضع آخر يقول : " ولا يكفي أن تقولوا : إنَّه خصوصيَّة في كيفيَّة النَّظم وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض حتَّى تصفو تلك الخصوصيَّة وتبيِّنوها، وتذكروا لها أمثلة "[1].

لذا ، فإنّي أرى أنَّ أوَّل تعريف اصطلاحيّ صريحٍ للنظم ، قد كان في القرن الخامس الهجريّ ، والَّذي جاء به شيخنا الجليل :

عبد القاهر الجرجاني (ت :471هـ):

يفتتح عبد القاهر كتابه بتوضيح معنى النَّظم فيقول : " معلومٌ أنْ ليسَ النَّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسببٍ مِن بعض "[2] ، وفي موضع آخر يقول :" النَّظم هو توخِّي معاني النَّحو في معاني الكلم"[3]

وفي القرن التَّاسع الهجري نجد تعريفاً آخر للنظم في كتاب " التَّعريفات " لصاحبه:

عليُّ بن محمَّد الجرجاني: (ت:814هـ):

وقد عرَّف النَّظم بأنَّه : " تأليف الكلمات والجمل مترتّبة المعاني متناسبة الدَّلالات على حسب ما يقتضيه العقل ، وقيل: الألفاظ المترتّبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل "[4].وفي العصر الحديث نجد تعريف:

محمَّد زغلول سلاَّم :

والَّذي يرى أنَّ " النَّظم بمعنى سبك الألفاظ ، وضمُّ بعضها إلى بعض ، في تأليف دقيق بينها وبين المعاني ، فيجريان معًا في سلاسة وعذوبة ، كالجداول لا تعثُّر ولا كلفة ، ولا حوش في اللَّفظ ، ولا زيادة أو فضول "[5].

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز. ص (35).

[2]- المرجع السَّابق : ص (4).

[3]- المرجع السَّابق : ص(84).

[4]- عليُّ بن محمَّد بن عليّ الجرجاني : التَّعريفات : تحقيق : إبراهيم الأبياري : دار الكتاب العربي ، بيروت ،الطَّبعة الأولى ، 1405هـ . مادَّة (نَظَمَ) .

[5]- محمَّد زغلول سلاَّم : أثر القرآن في تطوُّر النَّقد العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطَّبعة الثَّالثة . ص (108).

وكذلك تطرَّقت لتعريفه :

مليكة حفَّان :

والنَّظم عندها " عمليَّة تأليف الكلام على نمط خاصٍّ بجمع الكلم الَّتي هي الألفاظ ، وضمُّ بعضها إلى بعض ، وقرن أوَّل لها بآخر على نسق وترتيب خاصٍّ وفق قواعد اللُّغة والنَّحو وغيرها "[1].

ومن خلال التَّعريفات السَّابقة ، تتبيَّن الصِّلة الوثيقة بين المعنى اللُّغوي والمعنى الاصطلاحيّ للنظم ، فالنَّظم هو الضَّمُّ والجمع ، وهو يشبه الخيط الجامع للُّؤلؤ، وفي مجال الكلام هو ضم الألفاظ بعضها إلى بعض فتتألَّف منها المعاني .

وعلى كلٍّ ، فخلاصة ما ذهب إليه الباحثون في النَّظم أنَّه تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النَّحو المتخيَّرة والموضوعة في أماكنها على الوجه الَّذي يقتضيه العقل.

ثانيًا- مفهوم النَّظم عند القدامى والمحدثين :

1– مفهوم النَّظم عند القدامى :

قبل أن أتحدَّث عن مفهوم النَّظم عند القدامى ، لا بدَّ من أن أشير إلى أنَّ الأغلبية منهم متى تحدَّثوا عن النَّظم ، كانوا يقصدون به (نظم القرآن) ، دون أن يبيّنوا معنى هذا النَّظم نفسه ، وكأنَّه كان معروفًا لدى من سبقوهم ، ومن ثمَّ لدى أهل زمانهم ، فلم يحتاجوا إلى تفصيل القول فيه .

هذا ، وإنَّ أشهر من تعلَّقت به كلمة " نظم " هو عبد القاهر الجرجاني ، لكنَّ أقدم إشارة وصلتنا عن النَّظم كانت من :

عبد الله بن المقفَّع (ت:142هـ):

يقول : " فإذا خرج النَّاس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولوا قولاً بديعًا فليعلم الواصفون المخبرون أنَّ أحدهم - وإن أحسن وأبلغ - ليس زائدًا على أن يكون كصاحب فصوصٍ وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً، فنظمه قلائد وسموطاً وأكاليل، ووضع كلَّ فصٍّ موضعه

[1] - مليكة حفَّان : النَّظم القرآني وعلاقته باللَّفظ والمعنى عند الباقلاَّني: ، مقال في مجلَّة ديوان العرب ٢٤ مارس٢٠٠٧ عبر الموقع الالكتروني :http://www.diwanalarab.com

، وجمع إلى كلِّ لونٍ شبهه وما يزيده بذلك حسنًا، فسُمِّي بذلك صانعًا دقيقًا، وكصاغة الذَّهب والفضَّة، صنعوا منها ما يعجب النَّاس من الحليّ والآنية، وكالنَّحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيّبةً، وسلكت سبلاً جعلها الله ذللا، فصار ذلك شفاءً وطعامًا، وشرابًا منسوبًا إليها، مذكورًا به أمرها وصنعتها ، فمن جرى على لسانه كلام فيستحسنه أو يُستحسنُ منه، فلا يعجبنَّ إعجاب المخترع المبتدع ؛ فإنَّه إنَّما اجتناهُ كما وصفنا"[1].

ونلمح هنا وجه الشَّبه بين مفهوم ابن المقفَّع للنظم وبين التَّعريف اللُّغوي له، وكذلك إشارته المبكِّرة لمفهوم النَّظم في الاصطلاح.

إبراهيم بن سيَّار النَّظَّام: (ت 231هـ):

يقول عن نظم القرآن: " فأمَّا نظم القرآن وحسن تأليف آياته ، فإنَّ العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النَّظم والتَّأليف "[2].

ويدلُّنا كلام النَّظَّام هذا على أنَّ هنالك من يرى أنَّ القرآن معجز بنظمه أو أنَّ النَّظم كان أحد أوجه الإعجاز في القرآن ، ولكنَّ هذه الآراء لم يكتب لها البقاء فلم تصل إلينا.

الجاحظ (ت : 255هـ):

وترد كلمة " نظم" عند الجاحظ في معرض حديثه عن القرآن إذ يقول إنَّ الرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - " تحدَّى البلغاء والفصحاء والشُّعراء بنظمه وتأليفه " [3]. وفي موضع آخر يقول : " ألا ترى أنَّ النَّاس قد كان يتهيَّأ في طبائعهم، ويجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم: الحمد لله ، وإنَّا لله ، وعلى الله توكَّلنا، وربُّنا الله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهذا كلُّه في القرآن ، غير أنَّه متفرِّق غير مجتمع ؛ ولو أراد أنطق النَّاس أن يؤلِّف من هذا الضَّرب سورة واحدة ، طويلة أو قصيرة على

---

[1]- عبد الله بن المقفَّع : الأدب الصَّغير: دار صادر ، بيروت . (ص 13).

[2]- عبد القاهر بن طاهر البغدادي : الفرق بين الفِرَق ، وبيان الفرقة النَّاجية منها ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطَّبعة الثَّانية:1977م . ص (128).

[3]- انظر: الجاحظ : مجموع رسائل الجاحظ ، تحقيق : محمَّد طه الحاجري ، دار النَّهضة ، بيروت : 1982م. ص(214).

نظـم القـرآن وطبعـه وتأليفـه ومخرجـه ، لمـا قـدر عليـه ، ولـو اسـتعان بجميـع قحطـان ومعد بن عدنان " [1].

ونلحظ من الفقرتين أعلاه ، أنَّ كلمة النَّظم عنده مرادفة للتأليف.

ابن قتيبة (ت:276هـ) :

والَّـذي يقـرأ كتـاب " تأويـل مشـكل القـرآن "، يلمـح بـين طيَّاتـه أنَّ الـنَّظم - تحديدًا نظم القرآن- هو: " التَّأليف الدَّقيق بين الألفاظ والمعاني ، بحيث يختلُّ المعنى إذا اختلَّ نظام التَّركيب ، ومن هنا لا يمكن ترجمة نظم القرآن"[2].

الرُّمَّاني (ت :386هـ) :

ولعلِّي أستشفُّ مفهوم النَّظم عند الرُّمَّاني استشفافًا من حديثه عن البيان الَّذي يظهر به تميُّز الشَّيء من غيره ، واشترط لهذا البيان أن يكون فيه حسن الإفهام ، وجعل حسن البيان في الكلام على مراتب " أعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النَّظم حتَّى يحسن في السَّمع ، ويسهل على اللِّسان ، وتتقبَّله النَّفس تقبَّل البرد ، وحتَّى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقٌّ من المرتبة"[3].

وعليه ، فإنَّ النَّظم من وجهة نظر الرُّمَّاني يعني انتقاء الألفاظ في العبارات لتؤدِّي أحسن وأدقِّ المعاني.

الخطَّابي (ت : 388هـ):

يرى الخطَّابي أنَّ الكلام بوجهٍ عامٍّ يقوم على أمور ثلاثة : لفظ حامل، ومعنًى به قائم ، ورباطٌ لهما ناظم[4] ، يقول: " وإذا تأمَّلنا القرآن الكريم وجدنا هذه الأمور منه في غاية الشَّرف

---

[1]- المرجع السَّابق ، ص (209) .

[2]- انظر: ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، شرحه ونشره : السَّيِّد أحمد صقر، المكتبة العلميَّة ،(د . ت . ط).

[3]- الرُّمَّاني : النُّكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق محمَّد خلف الله أحمد ، ومحمَّد زغلول سلاَّم دار المعارف ، القاهرة، الطَّبعة الرَّابعة ،ص (107).

[4]- الخطَّابي : البيان في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق محمَّد خلف الله أحمد ، ومحمَّد زغلول سلاَّم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطَّبعة الرَّابعة، ص (24).

والفضيلة، حيث لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشدَّ تلاؤمًا وتشاكلاً من نظمه "[1].

وأستطيع القول إنَّ فكرة النَّظم بدأت تتَّضح وينجلي إبهامها على يد الخطَّابي فبقوله : " ورباطٌ لهما ناظم " يفهم القارئ أنَّ النَّظم هو أداة الرَّبط بين اللَّفظ والمعنى ولا يفوتني هنا أن أشير إلى قرب هذا المفهوم من المعنى اللُّغويّ للنظم.

أبو هلال العسكري(ت:395هـ) :

أمَّا صاحب الصِّناعتين ، فيرى أنَّ " النَّظم به زنة الألفاظ ، وتمام حسنها"[2]

وقد عقد بابًا أسماه " البيان عن حسن النَّظم وجودة الرَّصف والسَّبك "[3] ، فيرى النَّظم في حسن التَّأليف وجودة التَّركيب وحسن الرَّصف .

الباقلاَّني(ت: 403):

وردت كلمة " نظم " في مواضع كثيرة من كتابه "إعجاز القرآن" ، يقول في واحد منها : " إنَّ نظم القرآن على تصرُّف وجوهه ، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختصُّ به ، ويتميَّز في تصرُّفه عن أساليب الكلام المعتاد "[4] ، وفي موضع آخر يقول : " إنَّ نظم القرآن يزيد في فصاحته على كلِّ نظم ، ويتقدَّم في بلاغته على كلِّ قول ، بما يتَّضح به الأمر اتِّضاح الشَّمس" [5] ، ويضيف قائلاً : " إنَّ الإعجاز واقع في نظم الحروف الَّتي هي دلالات وعبارات عن كلامه ، وإلى مثل هذا النَّظم وقع التَّحدي " [6].

---

[1]- المرجع السَّابق : ص (24).

[2]- أبو هلال العسكري : الصِّناعتين ، تحقيق علي البحاوي ، محمد أبو الفضل ، دار حياء الكتب العربية ، الطبعة الثَّانية ،1372هـ ص (167)

[3] - المرجع السَّابق : ص (167).

[4]- الباقلاَّني : إعجاز القرآن ، تحقيق : السَّيد أحمد صقر ، دار المعارف القاهرة . الطَّبعة الخامسة ص(35).

[5]- المرجع السَّابق : ص (156).

[6]- المرجع السَّابق : ص (261).

هذا ، وعلى الرُّغم من اعتنائه الفائق بأمر النَّظم ، فإنَّه يشعر بالتَّقصير تجاه ذلك ، وهذا ما يفهم من قوله : " وفي نظم القرآن أبواب كثيرة لم نستوفها، وتقصِّيها يطول، وعجائبها لا تنقضي "[1] .

وخلاصة القول : فإن الباقلّاني ربط إعجاز القرآن بنظمه دون أن يفسِّر هذا النَّظم ، أو يعطيه مضمونًا ملموسًا يُتبيَّن به أثره في بلاغة النَّص.

عبد القاهر الجرجاني: (ت:471هـ) :

لم يعد النَّظم عند عبد القاهر مجرَّد مفهوم أو مصطلح يشار إليه أو يمثَّل له دون تفسير ، بل أصبح نظريَّة متكاملة يتداولها العلماء بالدِّراسة والتَّنظير والتَّحليل منذ القدم حتَّى يومنا هذا .

ولكنَّ هذه النَّظريَّة – نظريَّة النَّظم – لم تكن جديدة اخترعها الجرجاني من غير مقدِّمات ، وإنَّما لفت النَّظر إليها الجاحظ ، والرُّماني ، والخطَّابي ، والباقلاَّني من قبله .

ولعلَّ أكبر دليل على ذلك ، هو نصُّ الجرجانيّ نفسه ، والَّذي يذكر فيه أنَّ فكرة النَّظم مسبوق إليها من كثير من العلماء ؛ حيث وضعوا في صرحها لبنات عديدة أرسوها قبله ، فالفضل مشترك بينهم وبينه .

يقول عبد القاهر " وقد علمتُ إطباقَ العلماء على تعظيم شأن النَّظم، وتفخيم قدره، والتَّنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه ، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ ، وبتَّهم الحكم بأنَّه الَّذي لا تمام دونه ، ولا قوام إلاَّ به ، وأنَّه القطب الَّذي عليه المدار، والعمود الَّذي به الاستقلال "[2].

ولكنَّ هذا لا يقلِّل من جهده في تأسيس هذه النَّظرية ونضوج فكرتها على يديه فقد شرحها شرحًا نحويًّا بيانيًّا وافيًا مترابطًا ، وصاغ منها نظريَّة متكاملة تقوم على أساس عدم الفصل بين اللَّفظ ومعناه ، وبين الشَّكل والمضمون ، وقرَّر أنَّ البلاغة في النَّظم لا في الكلمة المفردة ولا في مجرد المعاني، دون تصوير الألفاظ لها.

---

[1]- الباقلاَّني : إعجاز القرآن ص (209).

[2]- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز. ص (80)

وبناءً على ذلك فإنَّه يعرِّف النَّظم بأنَّه : " تعليق الكلمة بعضها على بعض وجعل بعضها بسبب من بعض " [1] ، ويوضِّح المعنى فيقول إنَّ النَّظم هو " أن تضع كلامك الوضع الَّذي يقتضيه علم النَّحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه الَّتي نهجت فلا تزيغ عنها ،وتحفظ الرُّسوم الَّتي رسمت لك ، فلا تخلَّ بشيءٍ منها "[2] .

ونراه يؤكِّد ذلك مرارًا وتكرارًا في مواطن عديدة من كتابه فيقول :"النَّظم هو توخِّي معاني النَّحو في معاني الكلم، وأنَّ توخِّيها في متون الألفاظ محال"[3] ، ويقول في موضع آخر" لا معنى للنظم غير توخِّي معاني النَّحو فيما بين الكلم "[4].

إذن ، فمفهوم الجرجاني للنظم يتمثَّل في أنَّه تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسببٍ من بعض، وتوخِّي معاني النَّحو بين الكلام حسب الأغراض الَّتي يصاغ لها الكلام ، وأنَّ ميزة النَّظم البلاغيَّة تكمن في المعنى الَّذي تحدثه الألفاظ إذا أُلِّفت على ضرب خاصٍّ من التَّأليف، ورتِّبت ترتيبًا معلومًا، بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حسب ترتيب معانيها في النَّفس.

هذا ، وقد اتَّسعت آفاق نظريَّة النَّظم الَّتي رآها عبد القاهر أوَّل الأمر طريقًا إلى إثبات الإعجاز البلاغيّ للقرآن ، لتصبح دراسة أسلوبيَّة واسعة النِّطاق لاتِّساق التَّراكيب في العربيَّة على اختلافها وتنوُّعها ، وكانت أولى ثمارها تفسير الزَّمخشري (ت:538هـ) للقرآن الكريم الَّذي يعدُّ بحقٍّ نموذجًا تطبيقيًّا رائعًا لها ، ثمَّ كان ظهور (علم المعاني) بمباحثه المعروفة في البلاغة العربيَّة التقليديَّة على أيدي السَّكاكي ورجاله من البلاغيِّين المتأخِّرين أثرًا آخر من آثارها"[5].

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز. ص (4).

[2]- المرجع السابق : ص(81).

[3]- المرجع السَّابق : ص (361).

[4]- المرجع السَّابق: ص (370).

[5]- أحمد سيِّد محمَّد عمَّار: نظريَّة الإعجاز القرآني وأثرها في النَّقد العربيّ القديم . ص (173).

وأخلص ممّا سبق إلى أنَّ النَّظم بمفهومه المعروف لدينا اليوم ، قد مرَّ بمراحل عدَّة عبر العصور المختلفة ، ابتداءً بإشارات ابن المقفَّع الَّذي وضع اللَّبنات الأولى لمفهوم النَّظم ، وانتهاءً بعبد القاهر الَّذي جعل من هذه اللَّبنات صرحًا عملاقًا عُرِف بـ " نظريَّة النَّظم " الَّتي بُهر بها المحدثون ، فدارت جلُّ دراساتهم حول نظريَّة النَّظم الجرجانيَّة .

2– مفهوم النَّظم عند المحدثين:

اختلف المحدثون في نسبة أوَّل ظهورٍ لنظريَّة النَّظم ، وهي النَّظريَّة الشَّاملة الَّتي تتمحور عليها كلّ علوم اللُّغة العربيَّة من نحو ، وصرف ، ودلالة ، وبلاغة ؛ ولأهمّيَّة هذه النَّظريَّة كثرت البحوث العلميَّة الحديثة بشأنها ، ونسبوها للجاحظ ، وابن النَّظام ، والقاضي عبد الجبَّار المعتزلي باعتبارهم مؤسِّسين لها.

ولكنّي أشرت سابقًا إلى أنَّ التَّطبيق الحقيقيَّ لها كان على يد عبد القاهر الجرجاني ، لا سيَّما في كتابه " دلائل الإعجاز" ؛ فقد أضاف الجرجاني لنظريَّته التَّطبيق في الشَّواهد القرآنية ، وتوضيح العلاقة بين علمي النَّحو والبلاغة ، كما كشفت نظريَّته عن عمق الرَّوابط بين علوم اللُّغة العربيَّة ، وأهمّيَّة السِّياق فيها ، ففي بعض الأحيان نجد جملاً لا نعرف دلالتها إلاَّ عن طريق السِّياق .

هذا ، و الجدير بالذِّكر ، إنَّ مصطلح النَّظم تجمَّد بعد عبد القاهر الجرجاني فلم يعتن أحد بأمر تطويره أو التَّجديد فيه .

ولعلَّ هذا الجمود لم يكن متعلِّقًا بنظريَّة النَّظم فحسب ، بل تعدَّاها إلى غيرها في مختلف المجالات اللُّغويَّة .

ويعلِّل الدُّكتور تمَّام حسَّان لذلك بقوله : " لم يُكتب للدراسات اللُّغوية العربيَّة أن تنمو فيما بعد القرن الخامس الهجري, فلقد كان كلُّ جهد يبذل بعد ذلك القرن, إمَّا في سبيل الشَّرح , وإمَّا في سبيل التَّعليق , وإمَّا في سبيل التَّحقيق والتَّصويب . أمَّا العمل المبتكر والذِّهن المبدع ، فقد قضى عليهما ظهور العنصر التُّركي على مسرح السِّياسة, واستبداده بأمر الخلافة , وضيق أفقه في الفكر, وقلَّة حماسه للعلم , وتلك ظاهرة ظلَّت تتَّضح في العالم العربيّ

والإسلاميّ يومًا بعد آخر, وتستشري باطِّراد حتَّى انتهت آخر الأمر بما سمَّوه: إقفال باب الاجتهاد"[1].

ولذلك ، فإنَّ الَّذي يطَّلع على الدِّراسات الحديثة ، لا يجد بين طيَّاتها مصطلح " النَّظم " بمفهوم جديد ؛ فدارت جلُّ الدِّراسات المتعلِّقة بالنَّظم في فَلَك النَّظريَّة الجرجانيَّة ، فكانوا في ذلك بين من ألَّف كتبًا حول نظريَّة النَّظم عند الجرجاني ، ومن خصَّص فصولاً لنظريَّة النَّظم في ثنايا تلك الكتب لارتباطها بموضوع كتاباتهم ، وأهمُّ تلك الكتب :

1- نظريَّة النَّظم وقراءة الشِّعر عند عبد القاهر الجرجاني[2].

2- الأبعاد الإبداعيَّة في منهج عبد القاهر الجرجاني[3].

3- عبد القاهر الجرجاني في قراءات البلاغيّين المحدثين[4] .

4- أثر استخدام نظريَّة النَّظم عند الشَّيخ عبد القاهر الجرجاني في تنمية التَّذوُّق الأدبيِّ لدى طالبات اللُّغة العربيَّة [5] .

5- اللَّفظ والمعنى في التَّفكير النَّقديّ البلاغيّ عند العرب[6] .

6- قضيَّة الإعجاز القرآنيّ وأثرها في النَّقد العربيّ القديم[7] .

7- تاريخ النَّقد الأدبيّ عند العرب [1].

---

[1]- تمَّام حسَّان عمر: اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها ، عالم الكتب ،الطَّبعة: الخامسة 1427هـ-2006م .(ص11).

[2]- محمود توفيق محمَّد سعد : نظريَّة النَّظم وقراءة الشِّعر عند عبد القاهر الجرجاني ، مجلَّة كلِّيَّة اللُّغة العربيَّة ، جامعة الأزهر الشَّريف ، شبين الكوم ، العدد الحادي والعشرين 1423هـ .

[3]- محمَّد عبَّاس : الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر، دمشق ، 1999م .

[4]- علاء نور الدِّين : عبد القاهر الجرجاني في قراءات البلاغيّين المحدثين ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،2007م.

[5]- نجاح أحمد عبد الكريم الظهَّار: أثر استخدام نظريَّة النَّظم عند الشِّيخ عبد القاهر الجرجاني في تنمية التذوُّق الأدبيِّ لدى طالبات اللُّغة العربيَّة ، مكتبة العبيكان ، الرِّياض ، الطَّبعة الأولى ، 1427هـ

[6]- الأخضر جمعي : اللَّفظ والمعنى في التَّفكير النَّقدي والبلاغي عند العرب ، من منشورات اتِّحاد الكتَّاب العرب : 2001م.

[7]- أحمد سيِّد محمَّد عمَّار: نظريَّة الإعجاز القرآني وأثرها في النَّقد العربي القديم ، دار الفكر، دمشق ، 1998م

ولكنَّا نلاحظ في الوقت ذاته أنَّ كثيرًا من المحدثين قد أولوا اهتمامهم في مجال الدَّرس اللُّغوي بما أسموه : **" نظريَّة السِّياق "** ، ويبدو أنَّهم استعملوا هذا المصطلح بدلاً عن مصطلح النَّظم ، أو ربَّما لم يلقوا بالاً إلى التَّشابه الواضح بين المصطلحين.

وترجع نظريَّة السِّياق - في الدِّراسات الحديثة - إلى اللُّغوي الإنجليزي (فِيرْث)firth وبمقتضى هذه النَّظريَّة تجد المعنى يُفسَّر على أنَّه وظيفة في سياق ، ومعنى الكلمة يكمن في دورها الَّذي تؤدِّيه في الكلام ، أو الطَّريقة الَّتي تستعمل بها.[2]

ويرى أصحاب المنهج السِّياقي أنَّ " معظم الوحدات الدَّلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى ، وأنَّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاَّ بملاحظة الوحدات الأخرى الَّتي تقع مجاورة لها "[3].

ويعرَّف السِّياقُ بأنَّه : " إطار عامٌّ تنتظم فيه عناصر النَّص ووحداته اللُّغويَّة، ومقياس تتَّصل بوساطته الجمل فيما بينها وترابط ، وبيئة لغويَّة وتداوليَّة ترعى مجموع العناصر المعرفيَّة الَّتي يقدِّمها النَّص للقارئ "[4].

وهو :" الصُّورة الكلِّيَّة الَّتي تنتظم الصُّورَ الجزئيَّة ، ولا يفهم كلُّ جزء إلاَّ في موقعه من الكلّ "[5].

وأرى أنَّ هذا المفهوم لا يختلف كثيرًا عمَّا قاله عبد القاهر الجرجانيُّ بأنَّ النَّظم هو " تعليق الكلمة بعضها على بعض وجعل بعضها بسببٍ من بعض "[6].

ووظيفة السِّياق تتمثَّل في أنَّه : " يعيِّن قيمة الكلمة ، إذ إنَّ الكلمة توجد في كلِّ مرَّة تستعمل فيها في جوٍّ يحدِّد معناها تحديدًا مؤقَّتا ، والسِّياق هو الَّذي يفرض قيمة واحدة بعينها

---

[1]- إحسان عبَّاس : تاريخ التَّقد الأدبيّ عند العرب ، دار الثَّقافة ، بيروت ، الطَّبعة الرَّابعة ، 1983هـ

[2]- أحمد مختار عمر: علم الدِّلالة ،عالم الكتب ، القاهرة ، الطَبعة الخامسة ، 1998م . ص (68).

[3]- أحمد مختار عمر: علم الدِّلالة : ص (68 ، 69).

[4]- عبد الرَّحمن بو درع : منهج السيِّاق في فهم النَّص ، كتاب الأمَّة ، العدد111 :1427هـ ، وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة 2006م ، الدَّوحة. ص(28).

[5]- المرجع السَّابق : ص (28 ، 29).

[6]- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز. ص (4).

على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوّعة الَّتي في وسعها أن تدلَّ عليها، والسِّياق أيضًا هو الَّذي يخلِّص الكلمة من الدَّلالات الماضية الَّتي تدعها الذَّاكرة تتراكم عليها، وهو الَّذي يخلق لها قيمة حضوريَّة "[1]. يقول محمَّد ياس خضر(نقلاً عن جون ليونز) " لا يمكن فهم أيَّة كلمة على نحو تامٍّ بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصِّلة بها ، والَّتي تحدِّد معناها"[2].

والَّذي يبدو لي ، أنَّ عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ) قد سبق (جون ليونز) في رأيه هذا بمئات السِّنين ، ونراه يؤكِّد على ذلك في دلائل الإعجاز بشدَّة حيث يقول : " اعلمْ أنَّ هاهنا أصلاً أنت ترى النَّاسَ فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من آخر ، وهو أنَّ الألفاظ المفردة الَّتي هي أوضاع اللُّغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، **ولكن لأن يُضمَّ بعضُها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد وهذا** علمٌ شريف وأصلٌ عظيم " [3].

وقد ضرب أمثلة ليستدلَّ على صحَّة عبارته أعلاه بقوله : " والَّدليلُ على ذلك أنَّا إن زعمنا أنَّ الألفاظ الَّتي هي أوضاع اللُّغة إنَّما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها لأَدَّى ذلك إلى ما لا يشكُّ عاقلٌ في استحالته ، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماءَ الَّتي وضعوها لها لتعرفها بها ، حتّى كأنَّهم لو لم يكونوا قالوا : رجلٌ ، وفرسٌ ، ودارٌ ، لما كان يكون لنا علمٌ بمعانيها ، وحتَّى لو لم يكونوا قالوا: " فعَل ، ويفعَل" لمَا كنَّا نعرف الخبر في نفسه ومن أَصله، ولو لم يكونوا قد قالوا: "افعلْ" لما كنَّا نعرف الأمر من أصله ولا نجده في نفوسنا "[4].

وهذا ما سبقهما إليه الخطَّابي (ت:388هـ) حيث قال في بلاغة القرآن: " إنَّ عمود هذه البلاغة الَّتي تجتمع لها هذه الصِّفات، هو وضع كلِّ نوع من الألفاظ الَّتي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصُّ الأشكل به ، الَّذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إمَّا تبدُّل المعنى الَّذي

---

[1]- جوزيف فندريس : اللُّغة ، تعريب: عبد الحميد الدَّواخلي، محمَّد القصَّاص ، مكتبة الأنجلو المصريَّة،1950 م (ص 231).

[2] - محمَّد ياس خضر الدُّوري : دقائق الفروق اللُّغويَّة في البيان العربي ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطبَّعة الأولى : 2006م . ص (38).

[3]- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص (539) .

[4]- المرجع السَّابق ، ص (539) .

يكون منه فساد الكلام، وإمَّا ذهاب الرَّونق الَّذي يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أنَّ في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني يحسب أكثر النَّاس أنَّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة ، والحمد والشُّكر ... والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء اللُّغة بخلاف ذلك، لأنَّ لكلِّ لفظة منها خاصيَّة تتميَّز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها "[1].

ويؤكِّد ابن قيِّم الجوزيَّة (ت:751هـ) على ما سبق في كتابه " بدائع الفوائد " ، حيث بيَّن فائدة إرشادات السِّياق بقوله : " السِّياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوُّع الدَّلالة ، وهذا من أعظم القرائن الدَّالة على مراد المتكلِّم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته "[2].

هذا ، ولقد كان لمسألة الاحتكام إلى السِّياق لبيان المعنى الدَّقيق للآية الكريمة في تفاسير علمائنا الأجلَّاء قدرٌ لا يستهان به ، فترى العبارات مثل : " ويفهم من السِّياق" ، " كما دلَّ عليه السِّياق " ، "ولذلك كان السِّياق" ، تراها منتشرة بصورة لا حصر لها في ثنايا تلك التَّفاسير*.

ثالثًا- تطوُّر مفهوم النَّظم :

في السُّطور التَّالية أستعرض أقوال علماء اللُّغة المحدثين حول تطوُّر مفهوم النَّظم عبر ما أسموه بـ " نظريَّة السِّياق " ، أفاض فيها " أحمد مختار عمر" القول وذلك في كتابه علم الدَّلالة ، ونذكر هنا ما يهمُّنا :

---

[1]- الخطَّابي : بيان إعجاز القرآن. ص (26) .

[2]- ابن قيِّم الجوزيَّة : بدائع الفوائد ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ، عادل عبد الحميد العدوي ، وأشرف أحمد . مكتبة نزار مصطفى الباز - مكَّة المكرَّمة ، الطَّبعة الأولى ، 1416 هـ- 1996م . 815/4 .

* للفائدة : انظر: أبو حيَّان : تفسير البحر المحيط ، تحقيق مجموعة من أساتذة اللُّغة العربيَّة ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطَّبعة الأولى : 1993م .

* وانظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمَّد سلامة ، دار طيبة للنشر والتَّوزيع ، الطَّبعة الثَّانية 1420هـ - 1999 م.

*وكذلك : البقاعي : نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

يقول: " وهناك من أصحاب هذه النَّظريَّة [نظريَّة السِّياق] من ركَّز على السِّياق اللُّغوي ، أو توافق الوقوع ، أو الرَّصف ، وعلى الرُّغم من اعتبار هذا الرَّأي امتدادًا لنظريَّة السِّياق أو تطوُّرًا لها ، فإنَّ هناك من عدَّه نظريَّة مستقلَّة (نظريَّة الرَّصف) **collocational Theory** نظرًا لما تميَّزت به من أحكام وما وضع لها من قواعد "[1].

واستشهد بقول (أولمان) **Ullmann :** " هناك تطوُّر هامٌّ للمفهوم العملي للمعنى ، تمثَّل في دراسة طرق الرَّصف أو النَّظم وهو ما ركَّز عليه (فيرث) وأتباعه" [2].

وذكر أحمد مختار تعريفًا للرصف بأنَّه : " الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معيَّنة "[3] .

ثمَّ يذكر أهمَّ ما يميِّز نظريَّة الرَّصف لصاحبها (فيرث) فيقول : " إنَّ فيرث لا يعتبر الجملة كاملة المعنى إلاَّ إذا صيغت طبقًا لقواعد النَّحو و راعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة وتقبَّلها أبناءُ اللُّغة وفسَّروها تفسيرًا ملائما "[4].

ولا يخفى علينا سبق عبد القاهر الجرجانيِّ لهذه النَّظريَّة (نظريَّة الرَّصف) بعدَّة قرون ، وذلك حين نقرأ قوله في شأن النَّظم الَّذي عرَّفه بـ : " أن تضع كلامك الوضع الَّذي يقتضيه علم النَّحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه الَّتي نُهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرُّسوم الَّتي رسمت لك ، فلا تخلَّ بشيءٍ منها "[5].

والَّذي يطَّلع على تراثنا العربيِّ القديم لا يجد مصطلح الرَّصف عند عبد القاهر فحسب ، بل يتَّضح له أنَّ مؤلَّفات علمائنا من بلاغيِّين ومفسِّرين وفقهاء ، قد زخرت باستخدام كلمة " الرَّصف " مرادًا بها " النَّظم " .

فهذا أبو هلال العسكري (ت:395هـ) يعقد بابًا في كتابه " الصِّناعتين " عنوانه : " في البيان عن حسن السَّبك وجودة الرَّصف " ، يبيِّن فيه أنَّ الرَّصف بين حسن وسيِّء ، فحُسن

---

[1]- أحمد مختار عمر: علم الدِّلالة ، عالم الكتب ، القاهرة : 1998 . ص (74).

[2]- المرجع السَّابق : ص (74).

[3]- المرجع السأَبق : ص (74).

[4]- المرجع السابق . ص (77).

[5]- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز (77) .

الرَّصف هو : " أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكَّن من أماكنها، ولا يستعمل فيها التَّقديم والتَّأخير والحذف والزِّيادة إلا حذفًا لا يفسد الكلام، ولا يعمي المعنى ، وتضمَّ كلُّ لفظة منها إلى شكلها وتضاف إلى وفقها " [1] ، وسوء الرَّصف هو " تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها "[2] .

وترى " إعجاز القرآن " للباقلاَّني (ت:403ه) ، يحفل بكلمة " الرَّصف " أثناء تناوله بدائع إعجاز آيات الذِّكر الحكيم ، فيقول في موضع : " وانظر إلى شريف هذا النَّظم، وبديع هذا التَّأليف، وعظيم هذا الرَّصف "[3]، وفي موضع آخر : " انظر في [القرآن] آية آية ، وكلمة كلمة ، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النَّظم وبديع الرَّصف ؟ فكلُّ كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية ، وفي الدَّلالة آية فكيف إذا قارنتها أخواتها ، وضامَّتها ذواتها ممَّا تجري في الحسن مجراها ، وتأخذ في معناها "[4].

ولا تخلو تفاسير علمائنا الأجلّاء أمثال الإمام القرطبيّ[5] ، وأبي حيَّان[6]، وابن كثير[7] – رحمهم الله - من هذا المعنى للرصف على أنَّه النَّظم .

وترى الإمام البقاعي (ت: 885ه) يقول عن إعجاز القرآن : " الإعجاز في حسن الرَّصف وإحكام التَّركيب والرَّبط والمراعاة بالألفاظ للمعاني" [8] .

ويأخذ السُّيوطي (ت:911ه) في بيان أوجه إعجاز القرآن عارضًا في ذلك آراء العلماء، فيقول عن أحدها : " هو الرَّصف أوالنَّظم"[9].

---

[1]- أبو هلال العسكري : الصِّناعتين . ص (167).

[2]- المرجع السأَبق : ص (167).

[3]- الباقلاَّني : إعجاز القرآن . ص (187).

[4]- الباقلاني : إعجاز القرآن (190).

[5] - انظر: القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطَّبعة الأولى، 1988.

[6] - انظر: أبو حيَّان محمَّد بن يوسف بن عليٍّ بن يوسف بن حيّان : تفسير البحر المحيط .

[7]- انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم .

[8]- البقاعي : نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور (137/4).

[9]- السُّيوطي : الاتقان في علوم القرآن ، دار مصر للطباعة ، ص (467).

وعليه ، فإنَّ هذا التَّطوُّر الَّذي يُعتقد أنَّه حاصل لنظريَّة النَّظم بما أسموه " نظريَّة السِّياق " ، أو " نظريَّة الرَّصف" من قِبَل علماء اللُّغة الغربيِّين ، ما هو إلاَّ تراثنا العربيُّ القديم ، سبقهم إليه علماؤنا العرب بمئات السِّنين وكان نتاجهم وافيًا كافيًا كما رأينا ، والجديد أو المحدث لا يخلو من أمر الاقتداء ، أو الاتِّباع أو اقتفاء الأثر.

وخلاصة القول ، إنَّ نظريَّة النَّظم- بمختلف مسمَّياتها- كانت من أهمِّ القضايا الَّتي شغلت المفكِّرين العرب سواء القديم منهم أو الحديث ، وعلى رأسهم المشتغلون بقضايا القرآن الكريم وإعجازه ، ممَّا يدلُّ على عظم شأنها في فهم وتفسير المعنى.

وفي الختام ، أستصحب معي قول عبد القاهر الجرجانيِّ عن النَّظم : " وقد علمتُ إطباقَ العلماء على تعظيم شأن النَّظم، وتفخيم قدره، والتَّنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ. وبتَّهم الحكم بأنَّه الَّذي لا تمام دونه، ولا قوام إلاَّ به، وأنَّه القطب الَّذي عليه المدار، والعمود الَّذي به الاستقلال [1]".

<u>أهمُّ النتائج:</u>

أثمر هذا البحث نتائج عدَّة ، أذكر أهمَّها فيما يلي :

1- إنَّ مصطلح " سياق " كان معلومًا لدى علمائنا العرب منذ قديم الزَّمان ، ويفهم أنَّ المقصود منه هو" النَّظم".

2- التَّأكيد على أهمِّيَّة السِّياق في فهم المعنى، كان المحور الأساس الَّذي دارت عليه نظريَّة النَّظم أو السِّياق.

3- إنَّ الإنجليزي (فيرث) لم يكن أوَّل من أسَّس لنظريَّة السِّياق كما يرى أحمد مختار عمر ؛ فالسِّياق هو النَّظم.

4 - لم يأت (جون ليونز) بالجديد حينما قرَّر بأنَّه : " لا يمكن فهم أيَّة كلمة على نحو تامٍّ بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصِّلة بها ، والَّتي تحدِّد معناها "، فقد كان السَّبق لعلمائنا من قبل.

[1]- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز. ص (80)

قـائمـة المـراجـع :

1- ابن دريد الأزدي : أبو بكر محمَّد بن الحسن(ت 321هـ) " **جمهرة اللُّغة** " مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة ، حيدر آباد، الطَّبعة الأولى : 1344هـ.

2- ابن قتيبة : أبو محمَّد عبد الله بن مسلم (ت :276هـ) : " **تأويل مشكل القرآن** " شرحه ونشره : السَّيِّد أحمد صقر، المكتبة العلميَّة.

3- ابن قيِّم الجوزيَّة : محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين (ت751هـ) " **بدائع الفوائد** " ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ، عادل عبد الحميد العدوي ، وأشرف أحمد . مكتبة نزار مصطفى الباز - مكَّة المكرَّمة ، الطَّبعة الأولى ، 1416 - 1996م .

4- ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدِّين (ت711هـ) " **لسان العرب** " ، دار صادر – بيروت ، الطَّبعة الأولى.

5- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير**(ت774هـ)** : " **تفسير القرآن العظيم** " تحقيق : سامي بن محمَّد سلامة ، دار طيبة للنشر والتَّوزيع ، الطَّبعة الثَّانية 1420هـ - 1999 م.

6- أبو حيَّان : " **تفسير البحر المحيط** " ، تحقيق مجموعة من أساتذة اللُّغة العربيَّة ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطَّبعة الأولى : 1993م .

7- أبو هلال : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري(ت 395هـ) : " **الصِّناعتين** " ، تحقيق علي البجاوي ، محمد أبو الفضل ، دار حياء الكتب العربيَّة ، الطَّبعة الثَّانية 1372هـ.

8- أبو هلال : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت 395هـ) : " **الفروق اللُّغويَّة** " ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطَّبعة الرَّابعة ،1400هـ .

9- إحسان عبَّاس (ت1424هـ): **" تاريخ النَّقد الأدبيّ عند العرب "** ، دار الثَّقافة ، بيروت ، الطَّبعة الرَّابعة ، 1983هـ.

10- أحمد سيِّد محمَّد عمَّار : " **نظريَّة الإعجاز القرآني وأثرها في النَّقد العربي القديم** " ، دار الفكر، دمشق ، 1998م.

11- أحمد مختار عمر: " **علم الدِّلالة** " ،عالم الكتب ، القاهرة الطَبعة الخامسة ، 1998م.

12- الأخضر جمعي : " **اللَّفظ والمعنى في التَّفكير النَّقدي والبلاغي عند العرب** " ، من منشورات اتِّحاد الكتَّاب العرب : 2001م.

13- الباقلاَّني : أبو بكر محمَّد بن الطَّيِّب (ت403هـ) " **إعجاز القرآن** " ، تحقيق : السَّيد أحمد صقر دار المعارف القاهرة، الطَّبعة الخامسة .

14- البقاعي : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن عليّ بن أبي بكر (ت885هـ) : " **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور** " ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

15- تمَّام حسَّان (ت1432ه) : " **اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها** " ، عالم الكتب ،الطَّبعة: الخامسة 1427ه-2006م .

16- الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255 ه): " **مجموع رسائل الجاحظ** " ، تحقيق : محمَّد طه الحاجري ، دار النَّهضة ، بيروت : 1982م.

17- جوزيف فندريس Joseph Vendryes (ت1380ه) : " **اللُّغة** " ، تعريب: عبد الحميد الدَّواخلى، محمَّد القصَّاص ، مكتبة الأنجلو المصريَّة،1950م.

18- الخطَّابي : أبو سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم بن الخطَّاب البستي (ت 388ه) : " **البيان في إعجاز القرآن** " ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق محمَّد خلف الله أحمد ، ومحمَّد زغلول سلاَّم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطَّبعة الرَّابعة.

19- الخليل بن أحمد : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت170ه): " **العين** " ، تحقيق : د.مهدي المخزومي و: د. إبراهيم السَّامرَّائي ، دار ومكتبة الهلال .

20- الرُّمَّاني : عليُّ بن عيسى بن عليّ بن عبد الله (ت384ه): " **النُّكت في إعجاز القرآن** " ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمَّد خلف الله أحمد ، ومحمَّد زغلول سلاَّم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطَّبعة الرَّابعة.

21- السُّيوطي : عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين(ت911ه) " **الاتقان في علوم القرآن** " ، دار مصر للطباعة .

22- الصَّاحب بن عبَّاد : إسماعيل بن عبَّاد بن العبَّاس (ت385ه) "**المحيط في اللُّغة**" http://www.alwarraq.com .

23- عبد الرَّحمن بو درع : " **منهج السيّاق في فهم النَّص** " ، كتاب الأمَّة ، العدد (111) :1427ه ، وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة 2006م ، الدَّوحة.

24- الجرجاني : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرَّحمن بن محمَّد (ت471ه) : " **دلائل الإعجاز** " ، قرأه وعلَّق عليه محمود محمَّد شاكر ، دار المدني ، جدَّة ، الطَّبعة الثَّالثة:1413ه

25- عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت 429ه) : " **الفرق بين الفِرَق وبيان الفرقة النَّاجية منها** " ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطَّبعة الثَّانية:1977م .

26- عبد الله بن المقفع (ت142ه) : " **الأدب الصَّغير** " ، دار صادر ، بيروت .

27- علاء نور الدِّين : " **عبد القاهر الجرجاني في قراءات البلاغيّين المحدثين** " ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،2007م.

28- عليُّ بن محمَّد بن عليّ الزَّين الشَّريف الجرجاني (ت816ه): " **التَّعريفات** " تحقيق : إبراهيم الأبياري : دار الكتاب العربي ، بيروت الطَّبعة الأولى ، 1405ه .

29- القرطبي : أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين (ت671هـ): " **الجامع لأحكام القرآن** " ، دار الكتب العلميَّة بيروت ، الطَّبعة الأولى، 1988.

30- محمَّد زغلول سلاَّم : " **أثر القرآن في تطوُّر النَّقد العربي** " ، دار المعارف ، القاهرة ، الطَّبعة الثَّالثة .

31- محمَّد عبَّاس : " **الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني** " دار الفكر ، دمشق ، 1999م .

32- محمود توفيق محمَّد سعد : **نظريَّة النَّظم وقراءة الشِّعر عند عبد القاهر الجرجاني** ، مجلَّة كلِّيَّة اللُّغة العربيَّة ، جامعة الأزهر الشَّريف ، شبين الكوم ، العدد الحادي والعشرين 1423هـ .

33- محمَّد ياس خضر الدُّوري : **دقائق الفروق اللُّغويَّة في البيان العربي** ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطبَّعة الأولى 2006م .

34- مليكة حفَّان : **النَّظم القرآني وعلاقته باللَّفظ والمعنى عند الباقلاَّني** ، مقال في مجلَّة ديوان العرب ٢٤ مارس٢٠٠٧ عبر الموقع الالكتروني : http://www.diwanalarab.com

35- نجاح أحمد عبد الكريم الظهَّار : **أثر استخدام نظريَّة النَّظم عند الشِّيخ عبد القاهر الجرجاني في تنمية التذوُّق الأدبيّ لدى طالبات اللُّغة العربيَّة** ، مكتبة العبيكان ، الرِّياض الطَّبعة الأولى ، 1427هـ